

الفصل العاشر

اختلاف المسيحيين الأوائل في صلب المسيح

مقدمة

لا حرج علينا أن نتذكر بين الحين والحين أن أقدم الأسفار المسيحية التي تقرر قانونيتها بعد قرون من كتابتها كانت رسائل بولس ، هذا الذي ما كان قط من تلاميذ المسيح ولم يره ولو مرة واحدة في حياته .

ويرجع تاريخ أقدم رسالة أملاها بولس - وخاصة رسالته إلى أهل كورنثوس - إلى أكثر من ٢٠ عاماً مضت بعد رفع المسيح .

كذلك سطر مرقس إنجيله - الذي يعتبر أقدم الأناجيل - بعد أكثر من ٣٥ عاماً خلت بعد رفع المسيح - ومن هذه الرسائل والأسفار القانونية ومن غيرها من الكتب المسيحية التي لم تحظ بتلك القانونية بيد أنها بقيت موضع اعتبار في التعاليم المسيحية ، نستطيع أن نتبين مقدار الاختلاف الذي وقع فيه قدامى المسيحيين في صلب المسيح .

لقد اختلفوا في صلب المسيح كحادث وقع ، فقد وجد بينهم من أنكر تعرض المسيح لعملية صلب .

كذلك اختلف قدامى المسيحيين في نظرية الصلب التي روح لها المروجون فيما بعد - وعلى رأسهم بولس - باعتبارها تكفيراً عن خطايا الآخرين ، فرفضوا تلك النظرية وتجاهلوها تماماً .

ولا يزال لهذه الاختلافات صدى يتردد في الفكر المسيحي حتى الآن .

اختلاف المسيحيين الأوائل في حادث الصلب

يقول مرقس عن المصلوب : « بعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الارجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه .

فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه .. وكانت الساعة الثالثة فصلبوه — ١٥ : ٢٠ - ٢٥ » .

ويقول نينهام في تعليقه على هذه الفقرة : « من الواضح أن الكنيسة التي كتب لها القديس مرقس انجيله كانت تعرف هذين الشخصين (الكسندروس وروفس) جيدا ، ولهذا لم يكن هناك داع للحديث عنهما بأكثر من ذلك . ويبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة التي تقول بأن سمعان قد حمل الصليب ، وما من شك في أن أحد الأسباب في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل ، كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدرا للمعلومات عن الصلب جدير بالثقة ..

ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب - من إنجيل يوحنا ، هو أنه في الوقت الذي كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠ - ١٢٥ م) كان الإدعاء بأن سمعان قد حل محل يسوع وصلب بدلا منه ، لا يزال ساريا في الدوائر الغنوسية التي كانت لها الشهرة فيما بعد » (٦٨) .

فمن الملاحظ أن الأناجيل الثلاثة قد ذكرت أن سمعان القيرواني كان هو حامل الصليب (متى ٢٧ : ٣٢ ، وماركس ١٥ : ٢١ ، ولوقا ٢٣ : ٢٦) ، بينما يذكر الإنجيل الرابع ما يخالف هذا فيقول . « فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة .. حيث صلبوه - يوحنا ١٩ : ١٦ - ١٨ » .

✱

كذلك يقول متى : « وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخره ليحمل صليبه ..

ولما صلبوه اقتسموا ثيابه .. ثم جلسوا يحرسونه هناك ..

وفى الغد (بعد الصلب والدفن) الذى بعد الاستعداد ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين . يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاث أيام أقوم . فربضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشد من الأولى .

فقال لهم بيلاطس عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . ففوضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر - ٢٧ : ٣٢ - ٦٦ » . ويقول جون فنتون فى تعليقه على هذه الفقرة : « لقد كانت عبارة مرقس التى تلت (ما قيل عن اقتسام الثياب والاقتراع عليها) هى : وكانت الساعة الثالثة فصلبوه .

لكن متى يغير هذا إلى قوله : ثم جلسوا يحرسونه .

لاحظ كذلك اضافة الكلمات : الذين يحرسون يسوع - فى العدد ٥٤ ، ولعل السبب فى أن متى يضيف هذه الكلمات التى تتكلم عن حراسة يسوع ، أثناء الصلب وما بعده (٢٧ : ٦٢ - ٦٦ ، ٢٨ : ٤ ، ١١ - ١٥) إنما يرجع إلى وجود اناس قالوا بأن يسوع قد أنزل من على الصليب قبل أن يموت .

كذلك فإن إحدى الطوائف الغنوطسية التى عاشت فى القرن الثانى ، قالت بأن سمعان القيروانى قد صلب بدلا من يسوع . فلعل متى كان يرد على هذه الأقوال « (٦٩) .

★

فمن ذلك نتبين أنه في الفترة التي أعقبت رفع المسيح حتى كتابة الأناجيل قد وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصا آخر قد صلب بدلا منه .

كذلك وجدت جماعات أخرى تقول بأنه لم يمت على الصليب وإنما انزل حيا وهذا ما قاله الفيلسوف الألماني فنتيوريني في بداية القرن التاسع عشر حيث خلص من دراسة لما قيل عن الصلب والدفن الى ان « يسوع قد اغمى عليه فقط ، ثم افاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت في الصخرة » (٧٠) .

ولا شك أن قوة تلك الجماعات وذبوع معتقداتها في نجاة المسيح من القتل ، كانت هي السبب الرئيسي الذي منع كتبة الأناجيل من تجاهلها ، واضطروهم إلى الرد عليها بما يتفق وتعاليم بولس التي سطرها في رسائله قبل أن يكتب أقدم الأناجيل بأكثر من ١٥ عاما ، تلك التعاليم التي لم تعرف في المسيحية شيئا سوى الصلب .

اختلاف المسيحيين الأوائل في نظرية الصلب

لقد كانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا ، هي إنجيل بولس الذي جال يبشر به في طول العالم الروماني وعرضه ، فلم ير بولس في رسالة المسيح شيئا غير هذا .

لكن هذا التعليم الذي تبناه بولس وجعل محوره صلب المسيح وجد له مقاومه جماعية ورفضاً تاماً وهو الشيء أثبتته بولس في رسائله فقد قال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس :

« انت تعلم هذا . أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني - ١ : ١٥ »

وقال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية :

« انى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .

ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم ، فليكن أناثما ١ - ٦ : ٨ » .

*

ويشير أدولف هرنك إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أى ذكر للصلب ونظرية الفداء والكفارة ، فيقول :

« لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثنى عشر ، أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح ، وحتى إعلال الإنجيل (المتعلق بموته وقيامته) لم يلاحظ شئ عنه .

أن كتابات هرمس المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثاً وقع ولا يوجد فيها أى ذكر على الاطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته .. إلخ ، رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التى يذكر فيها ذلك .

إنه يصف عمل يسوع بأنه :

١ - حفظ الشعب الذى اختاره الله .

٢ - تنقية الشعب من الخطية .

٣ - تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهى « (٧١) » .

إن كتاب هرمس هذا « كان إيرنيوس يقتبس منه باعتباره واحداً من الكتب (المقدسة) ، وأعتقد أوريجين أنه من أكثر الكتب فائدة وأنه كتب بوحي إلهى ، ويقرر ايزبيوس أنه على الرغم من عدم قانونيته ، فقد كان يقرأ علانية فى الكنائس ، وهو الأمر الذى عززه جيروم ، وكذلك نجد أثناسيوس ينقل عنه ويعتبره أهم عمل ذا فائدة « (٧٢) » .

ولقد جاء في الكتاب الثالث لهرمس - الذى أشار إليه هرنك - على لسان الملك : « أن الصوم الحقيقى هو : لا تفعل شراً ، ولكن اخدم الرب بفكر طاهر ، واحفظ وصاياه وسر حسب فرائضه ولا تجعل أى فكرة شريرة تدخل قلبك . ولكن ثق فى الرب انك لو تفعل هذه الأشياء وتخشاه وتمتنع عن كل شر ، فإنك سوف تعيش لله .

لو تفعل هذا فإنك تصوم صوما عظيماً ، صوما يقبله الرب - ٥ : ٥ - ٧ » ومن الحقائق البارزة فى مجال الحديث عن إسقاط بعض الرسائل المسيحية الهامة لكل ما يقال عن الصليب - سواء باعتباره حادثاً وقع ، أو برؤيته وسيلة للخلاص ، حسباً تقول فلسفة الفداء والكفارة - ما نجده فى رسالة يعقوب التى هى إحدى الرسائل القانونية التى يشتمل عليها العهد الجديد ، ويستطيع القارئ 'مراجعتها بنفسه .

فهذه الرسالة تسقط أيضاً كل ما يتعلق بالصليب والقيامة ، بل أنها لتقرر بوضوح طريق الخلاص والديانة الحققة فتقول أنه : إيمان بالله وعمل صالح ، كما سنرى فيما بعد .

الخلاص الحق لا علاقة له بالصليب

أن الخلاص الحق الذى ذكره يعقوب وهرمس - بعيداً عن كل ما يقال عن الصليب وسفك الدم كفارة عن الخطايا - قد ذكر أيضاً فى أسفار العهد الجديد التى اتفق على قانونيتها . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بذكر عدد محدود منها :

١ - بينما كان المسيح يسير خارجاً « إذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمال لتكون لى الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ، قال له أية الوصايا . فقال يسوع لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وأهلك وأحب قريبك اكنفسك .

قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حدثتني فإذا يعوزني بعد :

قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبيع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني -- متى ١٩ : ١٦ - ٢١ ،

ومن الملاحظ أن المسيح قبل أن يجيب السائل إلى سؤاله فقد صحح له صيغة السؤال ، ففنى عن نفسه صفة الصلاح التي خلعها عليه السائل ، وردها إلى الله الذي تفرد في ذاته وصفاته ، وهو الله الواحد الذي أرسل موسى وأنزل عليه الوصايا العشر (خروج ٢٠ : ١ - ١٧) .

٢ - وفي يوم الدينونة تكون النجاة بالعمل الصالح بعيداً عن الصלב وفلسفاته . فهناك « يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا :. رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم .

لأني جعت فأطعمتموني . كنت غريباً فأويتموني . عريانا فكسبتموني مريضاً فزرتموني . محبوساً فأتيتم إلى » .

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك .
أو عطشانا ففسقيناك . ومتى رأيناك غريباً فأوييناك أو عريانا فكسوناك .
ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتيينا إليك .

فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتي الأصغر فبي فعلتم .

ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته .

لأني جعت فلم تطعموني حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً . .

فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه هؤلاء الأصغر فبي لم تفعلوا فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية -- متى ٢٥ : ٣٤ - ٤٦ » .

هكذا يدان الناس : أهل البر والعمل الصالح إلى الحياة الأبدية، وأهل

الشر والبخل إلى عذاب أبدي - ولا دخل لفلسفة الصلب والقداء في إنقاذ أهل الشر أو إهلاك أهل البر .

ولا يبقى مقياساً لميزان الدينونة سوى ما ينطق به الكتاب من حق - بعيداً عن الصلب ومشتقاته - فيقول :

« الإبن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن »

بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون - حزقيال ١٨ : ٢٠ »

٣- ويقول يعقوب في رسالته أن الدينونة التي تحدد المصير الأبدي للإنسان تقوم على ركيزتين هما : إيمان بالله الواحد ، يصحبه عمل صالح ، وبدونهما لا فائدة ترجى .

وأن كلامهما لا علاقة له بالصلب وسفك الدم من قريب أو بعيد :

« أنت تؤمن أن الله واحد ، حسناً تفعل ، والشياطين يؤمنون ويقشعرون

ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت . . بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده - ٢ : ١٩ - ٢٤ » .

ان « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه : افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم - ٢ : ٢٧ »

ان ذلك ما شرعه الله : « واحد هو واضع التاموس ، القادر أن يخلص ويهلك - ٤ : ١٢ »

من ذلك - وغيره كثير وكثير جداً - نتبين أن الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب على الإطلاق .

ما ترتب على نظرية بولس في الصلب

لقد ظهر في القرن الثاني تلميذ شهير لبولس هو مركيون، الذى كان يعتقد « بان إله اليهود الذى اعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم . كان في الحقيقة الهاشربا !! »

أما إله المحبة فقد ظهر في المسيح - ولقد وضع مركيون إله المحبة في تعارض ضد خالق العالم »

كذلك اعتقد مركيون أن « الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم المسيح لم يفهموه .. ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلًا يخالف إنجيل بولس ، فقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح ..

من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحي خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير .

ويبلغ ضلال هذه المعتقدات مداه حين تروى لنا محاكمة تجرى بين يسوع ورب المخلوقات - إله موسى - فتقول : « نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لا هوته ، ودخل معه في قصاص بسبب موته (قتلا على الصليب) ..

قال له يسوع : إن الدينونة بيني وبينك . لا تدع أى شخص آخر يكن قاضيا ، إنما شرائعك ذاتها تقضى لى ..

ألم تكتب في ناموسك أن من قتل تقتل ؟

وعندئذ أجاب (إله المخلوقات) : لقد كتبت هذا ..

قال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدي ..

قال خالق العالم : لأنى قد ذبحتك فأنى اعطيتك عوضا . كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك ..

وعندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيدا ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن . وإن كل من يؤمن بيسوع قد بيعوا عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب « (٧٣) !!!
ان هذا الضلال الذى يجلب العار لكل المؤمنين بكتب الله ورسالاته ، لا يحتاج إلى تعليق .

نتائج بحث قضية الصلب

لقد درسنا عددا من الموضوعات الهامة التى تشتمل عليها قضية الصلب ، وخرجنا عقب دراسة كل موضوع ، بل وعقب دراسة كل عنصر من عناصرها المختلفة بنتائج محددة . وفى تجميع لهذه النتائج نستطيع أن نبلور نتيجة هذه الدراسة كما يلي :

١ - اختلفت روايات الأناجيل الأربعة فى أحداث الصلب : فقد اختلف الرواة فى مقدمة الأحداث مثل قصة مسح جسد المسيح بالطيب وقصة خيانة يهوذا . كذلك اختلف الرواة فى العشاء الأخير وكيفية التحضير له وتوقيته ودور يهوذا وما قيل عن شك التلاميذ الذى تنبأ المسيح بوقوعهم فيه فى تلك الليلة الأخيرة ، واختلفت الأناجيل فى الليلة الأخيرة وأحداثها ، وإن كان هناك اتفاق على أنه فى قمة المحنة التى تعرض لها المسيح « تركه التلاميذ كلهم وهربوا » .

واختلفوا فى المحاكمات وأعدادها وزمانها ومكانها ، كما اختلفوا فى قصة انكار بطرس وكان الخلاف حادا فى الصلب وأحداثه السابقة واللاحقة ، ولعل أخطر خلاف وقع هو ما قيل عن توقيت الصلب ويومه . فقد تأرجح ذلك من يوم الخميس على أحد الأقوال ويوم الجمعة على أقوال أخرى . وكما اختلفوا فى الصلب فإنهم اختلفوا فى الدفن .

لقد اختلفت روايات الأناجيل فى أحداث الصلب اختلافا يكفى لتنحية نهاداتها عن ذلك الحادث جانبا .

✱

٢ - واختلفت الروايات التي ذكرت عن نهاية يهوذا ، وإن كانت قد اتفقت على أنه هلك في أعقاب حادث الصلب وفي ظروف غامضة تناظر ما قيل عن هلاك بيلاطس الحاكم الروماني . وهذا الأخير ذكرت بعض الروايات أنه مات ميتة القديسين والشهداء ، بينما قالت رواية أخرى أنه مات ميتة الشياطين .

*

٣ - وفي شتى المناسبات رأينا المسيح يرفض كل محاولة لقتله يقول لليهود : لماذا تطلبون أن تقتلوني ؟ . « وعند المحاكمة كان المقبوض عليه يقول لحاكميه : « ان سألت لاتبجيوني ولا تطلقوني » .
بل في النزاع الأخير نجد ذلك المصلوب يصرخ في يأس وحسرة قائلاً « إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ !! » .

*

٤ - ويكفي أن نورد في موضوع تنبؤات المسيح بنجاته من القتل - قوله : « ستطلبوني ولا تجدوني وحيث أكون انا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » .

*

٥ - وأما عن تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل ، فقد ظهرت فيها الحقيقة بأوضح ما تكون مؤكده جميعها نجاة المسيح « لأن الرب يحفظه ويحييه يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه » .

وكذلك قال المزمور على لسان المسيح : « لا أموت بل أحيأ . . إلى الموت لم يسلمني » . أما يهوذا الخائن فإنه « سقط في الهوة التي صنع ، يرجع تبعه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه » . وذلك لأن : « الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يديه » لقد صلب يهوذا ، فهكذا تنبأ المزامير .

*

٦ - ولقد اختلف المسيحيون الأوائل في صلب المسيح : اختلفوا فيه كحادث فقال بعضهم : ماصلب المسيح ولكن صلب أحد تلاميذه . كذلك اختلفوا في الصلب كنظرية تتكلم عن الفداء والخلاص ، فرفضه الراضون

وقالوا أن الانسان يعتمد على ركيزتين اثنتين هما : إيمان بالإله الواحد خالق الأكوان ، وعمل صالح يثبت ذلك الإيمان ويصدقه . وما عدا ذلك فهو ضلال وضباع .

★

أما بعد - فتلك هي خلاصة النتائج التي انتهى إليها بحث قضية الصلب ، وهي تبين أن الصلب يعتبر بحق قوة في مجموعة المشاكل التي تحتويها الأناجيل . انه مشكلة رئيسية يكمن حلها في عقل القارئ وضميره . وهو يستطيع حلها بسهولة بشرط الا يكون من الذين قال عنهم المسيح :

« تمت فيهم نبوة اشعياء القائلة . تسمعون سمعاً ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ، وآذانهم قد ثقلت سمعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بأذانهم ويفهموا بقلوبهم . ويرجعوا فأشفيهم » .
